

ومثل ذلك النهج الثاني حيث تغزل شوقي قبل الحديث عن موقف سياسي لسعد زغلول فنحن أمام قصيدة أحسن فيها الشاعر التخلص والانتقال حين تحدث عن سحر طرف الفتاة التي وصفها ، وعن أثر هذا السحر في تصفيد من تنظر اليه حتى لا يستطيع أحد أن يطلق سراحه ، ولو كان سعداً نفسه ، وفي هذا التخلص والانتقال براعة ومهارة ، ولكن ذلك لا يكفي لقيام وشائج شعورية بين غرضي الغزل والسياسة هنا ، فهنا غرضان مختلفان ، لكل منهما براعته وآثاره .

هذا فضلاً عن تضمن كل من هذه القصائد الثلاث موضوعات أو أغراضاً شعرية ، غير التي عرضت لها ، مما يجعل بناء القصيدة الكلاسيكية غير بعيد من بناء القصيدة التقليدية .

وقد كان أثر التراث في الكلاسيكية أبعد من هذا وأشمل ، فقد أصبح شعراء التراث 'مثلاً علياً' تحتذى ، حتى قال الأستاذ علي الجندي في رثاء الشاعر الكلاسيكي محمد الأسمر :

جرير القوافي عتاهيها فرزدقها شيلها الأخطل

ثم كان أثر التراث في الكلاسيكية أسبق من هذا بكثير ، فمنذ الحملة الفرنسية شرعت روح اليقظة تدب في الحياة الأدبية ، وتربط بين الشعراء والتراث ، حتى ظهرت طلائع الكلاسيكية الجديدة مبكرة مع محمود صفوت الساعاتي والقطار وغيرهما ، ولكن هذه الطلائع المنسية ربما كانت خليقة أن تنسى ، لأنها قد 'حُجبت بحجاب كثيف' من شاعرية محمود سامي البارودي المتفوقة (٣٠) ، فقد استطاع هذا الشاعر — برغم ما سبقه من تدوج وتمهيد — أن يحتل مكانة سامقة في تاريخ الأدب عبر عنها الأستاذ العقاد بقوله انك إذا وارسلت بصرك خمسمائة سنة وراء شعر البارودي لم تكد تنظر إلى قمة واحدة تساميه أو تدانيه ، وكنت كمن يقف على رأس الطود المنفرد ، فلا يرى أمامه غير التلال والكثبان والوهاد ، إلى أقصى مدى الافق البعيد .